تعريب العلوم - القضية ★

للأستاذ / أحمد شفيق الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الرئيس

أيها الزملاء الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدار مؤتمرنا لهذا العام يحتمل محورين :

تعريب العلوم – القضيَّة

تعريب العلوم – الوسيلة

وكان يُفترضُ أن أختار ثانيَهما كونَ لي خبرةٌ عمليَّةٌ ، تعليميَّة ومِهْنية ، في هذا المحور على مدى العُقود الأربعة الماضية . لكن الجدَل الذي أثير مؤخَّراً حول تعليم العلوم والرياضيَّات بلغة أجنبية في المرحلة الابتدائية ، في الأوساط التربوية والإعلاميَّة في موطن مُقامي الطيِّب : «لبنان» ، حفزني إلى المشاركة في ذلك الجدل ردّاً على رأيٍ مؤيدٍ لمحررٍ معروف في إحدى الصحف اللبنانية البارزة[1] ، وبالتالي حداني إلى اختيار المحور الأول مداراً لحديثي اليوم في مؤتمرنا هذا . فقضيَّة تعريب العلوم التي نتحاور بصددها في مراحل التعليم العالي لمَّا تُحسَم بعدُ في مراحل التعليم الدُّنيا ، على نُطق تضيقُ أو تتَّسع ، في كثير من أرجاء الوطن العربيّ .

أيها العلماءُ الأجلاء

موضوع تعريب العلوم – وبالتالي تعريب العلوم في مختلف مراحل الدراسة الابتدائية والثانوية والعالية – عولج بمحوريه ، قضيةً ووسيلة ، في العديد من الندوات والمؤتمرات التي كان لي ، كما كان للكثيرين منكم ،

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر المنعقدة يوم الأحد ٢٩ من شوال سنة ١٤١٤هـ الموافق ١٠ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤م

(١) انظر الملحق الأول (أ و ب) في آخر هذا البحث .

شـرفُ وواجبُ حـضـورها فى الرباط وتونس والقاهرة وعمّان ، والمشاركة بمداولاتها . وهكذا فإن الحديث فى هذا الموضوع بكلا محوريه لابُدّ أن يأتى فى الكثـير منـــه ، أو فى بعـضـــه على الأقـل ، على إعـادةٍ لمـــا سلف أن قُلناه أو قُلتُموه أو سيقولُه سواى من الزمـــــلاء فى مؤتمرنا الجامع هـــذا ، أو سيقولهُ آخـرون فى مؤتمرات وندواتٍ تالية لاحقا .

لكن هذا الموضوع هو من الأهمـية بمكان ، حتى إن ملَلَ الإعادة منه لاينبغى أن يمنعَنا من تكرار الحديث فيه – أو لعله كما يقولون :

ما كلُّ معادٍ مُمِلّ ، ولا كل مُعيدٍ مخِل .

يقـول ابن جِنّى : « إن اللغـةَ أصواتٌ يعبر بهـا كُلُّ قـوم عن أغـراضـهم » . هذا القـول صـحيح ، لكنه بحاجـة إلى توسيع . فليـست اللغة أداة للتعبير فقط ، ولا هى وسيلة الفكر ووعاؤه فحسب ، إنها بعضُ الفكر وأداتُه ، بل لعلها كما يقولُ بعضُهم هى الفِكرُ بذاته .

وإذا كانت مقـولة هِربارْت[1] وأتبـاعـه من فـلاسـفـة التـربيـة وعلم النفس التـربوى فى أن المعلومات التى يكتسبُها الإنسانُ ، فى سنواته الأولى الأربع بخاصة ، تؤلّف كتلة الاستيعاب التى تكون قـد تنشّأتْ قـبل دُخوله المدرسـة ، وأن تعلُّم أى معلومةٍ لاحقا لابد أن تتمثَّلهُ كتلةُ الاستـيعـاب تلك ، تفهُّماً وقبـــولاً ، فـتـتنامى بهـا ؛ إذا كـانـت هذه المقـولة صـحـيـحةً!، وأنا أشارك القائلين بذلك ، فإن مقولةَ « إن اللغة هى الفِكرُ وأداتُه » صحيحة أيضاً .

وهذا يفـسّـر كـون أن يتـعلّمَ الإنســانُ الأساسيات العلمية والرياضيةَ وسواها بلُغته الأم أمرا بديهيًا عند جميع الناس فى كُلّ أنحاء العـالم إلا – للأسف – ، عندنا فى مـخـتلف أرجاء العالم العربى .

الدكتور إسحق الفرحان عضو مجمع اللغة العـربيـة الأردنى يروى أنه كـان بصُحبـة وزير التربية الأردنى يحضُران حفلاً للسفارة الكُورية فى عـمّـان ، فـسـأل وزيرُ التـربيـةِ الســفـيـرَ الكورى : بأىّ لُغـةٍ تدرسـون الطب والهندسـة والعلوم فى بِلادِكم ؟ فلم يُجِبْه السفير . ولما كـرّرتُ أنا السـؤال ، يقـول الدكـتـور ، نظرَ إلىّ السـفـيـر قـائلا : « وهل هذا سـؤالٌ يُسـألُ ؛ بالكوريّة ، طبعًا » .

السفير الكورى ربُما كان جافىَ الرد ، ولكنه كان مُحِقًا فى اعتبار أنه من السُّخف أن يُعَلّمَ

---

(١) الفيلسوف الألمانى جوهان فردريك هربارت ١٧٧٦ – ١٨٤١

الناسُ موادَّ العلوم أو يتعلّموها فى بلادهم بغير لغتهم القومية .

هذا فى بلاد الناس ، أمّـــا فى بلادنا فموضوع تعليم العلوم بغير العربية لايزال مجال أخذ وردٍّ ، ونقاشاً يصل أحيانا إلى حد المُشاقَّة - حتى لنرى أنه كلّما قاربت حركات التعريب النجاحَ أو كادت ، سرعان ما تنشَط حركات التغريب فى الانقضاض عليها وعرقلتها أو حتى إجهاضها . والأمثلة على ذلك فى مشرق العالم العربى ومغربه غيرُ خافية عن اطلاع حضراتكم . فلكأنَّ ذلك يذكّرنا بالحروب المعلنة وغير المعلنة التى كانت تُشنُّ على اللغة العربية من قِبَل سياسات التجهيل والاستعمار والانتداب .

لقد كان المنتدِبون والمستعمرون يرون فى اللغة العربية ، لغةِ الدين والتراث والتاريخ المشترك ، عاملَ توحيد فى الوطن العربى يَقُضُّ مضاجعَهم ، فبذلوا ما فى وسعهم لمحاربة هذا العنصر بشتى الطرق - مستغلّين خلافاتنا الجاهليةَ وانتماءاتنا القَبَليّة والعرقية والطائفية ، والمذهبية ، ونحن مسوقون ندرى ولا ندرى .

ولا ننكر أنهم حققوا الكثير من مبتغاهم حين أفتوا ، ونفذوا فتواهم كَرها ، بعدم صلاحية اللغة العربية لأن تكون لغة العلم والحضاريات التّقانية المعاصرة ؛ وقرنوا هذه ، مع المكانة الاجتماعية وإمكانيات الرفاه ، باللغة الأجنبية . واستطاعوا بفعل الإشراط النفسانى وطول الممارسة أن يؤصّلوا فينا مركب النقص لتقبُّل هذا الواقع الشاذ كأمر طبيعى ، بقوة الاستمرار .

وهم طبعا ما نفذوا إلا ما أملَتْه مبادئ السياسات المتعارفة فى إخضاع الشعوب عن طريق قهرهم وإذلالهم بإذلال تراثهم وتقاليدهم وإضعاف لغاتهم القومية وحجبها عن دورها الطبيعى الاجتماعى والحضارى .

نحن اليوم - حمداً لله - تخلصنا من الاستعمار ، لكنَّ بلوانا به باقيةٌ - ليس فقط بالغرس السرطانى الوبيل الذى أنشبه فى كياننا قبل رحيله، وغذّاه ونمّاه فيما بعدُ فقط ، بل أيضا بترسُّبات تلك السياسات المسمومة الشرسة التى مافتئت فاعلة فى ثنايانا كامنة أو ظاهرةً ، عن قصد أو عن غير قصد .

هذه الترسُّبات ، فى يقينى ، هى المسؤولة عن حركات الرِّدة التى تعرفون ، والتى يحقُّ فيها أن تقاوم باليد واللسان والقلب .

حُجَجُ المرتدِّين عن التعريب ، كما هى حجج معارضيه ، تتلخص دَوماً فى ناحيتين :

أولاهما : أن اللغة العربية تُقيِّد التطورَ العلمى والحضارى وتقف حجر عَثْرةٍ فى سبيلهما ،

وثانيتهما : أن إتقان لغةٍ أجنبية ، هو فى عالمنا المعاصر ، ضرورى لإبقاء التواصل الحضارى مع العالم حولنا بتقنياته وإنجازاته . وهذه الناحية لاخلاف واقعيًا فيها ، إنما هى فى حقيقة الأمر قضيةٌ حقٌّ أُريد بها باطل . وسأعود إلى هذه الناحية لاحقا فى حديثى ، لأتناول الناحية الأولى قبلا .

علماء اللغات متَّفقون على أن اللغة ، أىّ لغةٍ ، بوصفها مؤسسة بشرية لخدمة الفكر ، لايمكن أن تكون عاجزة عن ذلك – إذا كان هذا الفكر ناشطا ومبدعا . والبراهين على مقولتهم هذه بيِّنة بارزة حوالَيْنا كما فى أقاصى المعمورة وأواسطها .

وإذا كان هذا يصح فى أى لغة ، فإنه بالأحرى يصحُّ فى لغة الأدب والتراث الخالدَيْن – فى اللغة العربية ، المتميِّزة بين اللغات بخصائصها الذاتية وقابليتها المرنة للنمو والتطور ، الفذة بلاغةً وفصاحة وقدرةً على التعبير – مما أهَّلها لأن ينزل بها ذكر الله الحكيم . كما أهَّلها بجدارة لتكون لغة العلم والحضارة الإنسانية فى العصور الوسطى . فبواسطتها تعرَّف العالم الغربى ، عن طريق نَقلتِها إلى اللاتينية ، علوم الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها .

اللغة العربية لاينقصها خصائص اللغة العلمية ولا مقوماتُها . والذين يتهمون العربية بالعجز عن مجاراة التطورات الحضارية العلمية إنما يعترفون بعجزهِم هُم ، وبعجزنا نحن أو غالبيَّتِنا فى دنيا العرب .

أيام صدقت النية وشمخت المعنويات ، عامرةً بالثقة والإيمان ، لم يجبن السلف أمام تيارات الحضارة اليونانية والفارسية والهندية فأخذوا وأعطَوا وعرَّبوا وترجموا وألفوا وأبدعوا ؛ وانطاعت لهم العربيَّة فكان لهم جامعاتُهم فى بغداد وفاس وقرطبة والقاهرة ودمشق وتونس .

ويروى المؤرخ الفرنسى « بريفو » فى كتابه « تكوين البشرية فى القرن التاسع » كيف أن العديد من المسيحيين أخذوا العلم عن عُلماءِ

سلام ، وأن الكثير ممن بهرتْهم الحضارة
ربية والإسلامية والعلم العربى أقبلوا على
ربية يتعلمونها ويستخدمونها فى مكاتباتهم
حادثاتهم مؤثْرين إياها على اللاتينية . وقد
تب أسقُف قرطبة شاكيا من ذلك يقول : إن
غة العربية فتنتنا بعذوبة ألفاظها وبلاغة
ثائها حتى لا نكاد نجد فينا من يقرأ الكتب
قدسةً باللاتينية . وشبابُنا الأذكياء جميعا
يعرفون غير لغة العرب وآدابهم - وكلّما
أوا كُتبها ودرسوا آدابها ازدادوا إعجابا بها .
إذا حدّثتَهم عن كتاب من الكتب اللاتينية
خِروا منه ، وقالوا إن الفائدة منه لاتساوى
تعب فى قراءته . وهكذا نسى المسيحيون
نتَهم وجهِلوا كتابتها وبلاغتها وحذقوا اللسان
عربىً حتى ليكتبونه نثرا ونظما بأسلوب أنيق
فوقون فيه العربَ أحيانا . ويروى الأستاذ
ريفو عن رئيس دير كلونى أنه كان يشاهد
ثناء إقامته فى الأندلس إقبال الطلبة من
رنسا وألمانيا وإنكلترا على مراكز العلم
لعربية فيبدى أسفه لتلك الظاهرة(١) .

والأدلة على المكانة العلمية للغة العربية
حينئذ لاتُعوزِنا - فهناك مئات الألفاظ فى
الفلك والكيمياء والطب والجغرافيا
والرياضيات التى أخذتها اللغات العلمية عنها ،
وهناك أيضا ماحفِظتْه لنا خزانة قرطبة ذات
الستمائة ألف مجلد فى مختلف العلوم والفنون
والآداب - من بينها مؤلفات ظلت تدرس فى
جامعات أوروبا طوال عدة قرون . وليس عن
عبث قول المستشرق الفرنسى ماسينيون : « إن
المنهاج العلمىّ قد انطلق أول ما انطلق باللغة
العربية ، ومن خلال العربية فى الحضارة
الأوروبية »(٢) .

ثم دارت على العرب والعربية الدوائر ،
فركد العلم وخمد البحث العلمى فى دنيانا
طوال عصر الانحطاط المديد فركدت اللغة
العربية وخمدت .

العجز الذى يعزونه إلى اللغة العربية إذن
ليس فى العربية بل فى أهلها اليوم ، فى بيئة
الجمود والاتكالية الغيبية والكسل العقلى
والانهزاميّة والقصور ، التى سادت نتيجةً

---

(١) د . محمد السوسى - محاضرة فى المجلس العلمى للمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، تونس ، ديسمبر ١٩٨٤

(٢) د . مناف مهدى محمد - اللسان العربى ، العدد ٣٠

لسياسات القهر والتجهيل طوال عهود الظلمة والانحطاط ، قُبيل السيطرة العثمانية وخلالها ، ثم استمرت بعدها ، بدرجات وأشكال متباينة متفاوتة فى مختلف أرجاءالوطن العربى ، بفضل المخططات الغربية الخبيثة السلسة الانداس حينًا والشَّرِسةِ أحيانا . ولم تنجُ حركة تعريب العلوم وتعريب التعليم إجمالا ، منذ فواتحها ، من بعض هذه المخططات .

فمع بدايات عصر النهضة العربية الحديثة أوائل القرن الماضى انطلقت العربية تأخذ طريقها مُجدِّدًا إلى دنيا العلوم والحضارة الحديثة . وكان طبيعيا أن تتخذ مدارس محمد على القاهرية منذ تأسيسها عام ١٨٢٥ ، فى الطبِّ والهندسة والزراعة والعسكريات ، اللغةَ العربية وسيلةً لها فى تعليم المناهج على كلِّ المستويات - مُدْعَمة بمدرسة الألسن وجهود المبعوثين فى مختلف فروع العلم .

وكذلك كانت الحال فى الكلية السوريَّة الإنجيليَّة (الجامعة الأمريكية فى بيروت لاحقا) أواسطَ القرن الماضى أيضاً ، حيث كانت مؤلّفات المستشرقين الأمريكان ، من أمثال كرنيلوس فانْدَيك ويوحنا ورُتبات وجورج بوست ، بمعاونة أساتذتهم العرب من أمثال بطرس البستانى واليازِجيِّين ناصيف وإبراهيم ويوسف الأسير وأحمد فارس الشدياق ، تغطِّى برامج الدراسة فى علوم الطب والفيزياء (الفلسفة الطبيعية حينئذ) والكيمياء والصيدلة والرياضيات والفلك وسواها بلغة عربية سليمة ومستوى علمى جيد[1] . ولم يكن يخطر ببال رواد النهضة الحديثة ، عربًا أو أجانب من المخلصين ، التدريسُ بغير العربيَّة - تطبيقا لمنطق علمى براغماتىٍّ بسيط مازال هو المنطق العملىّ الصحيح اليوم كما سيكون غداً .

ورافق ذاكَ الانتعاشَ للُّغة العربيَّة إصداراتٌ جديدةٌ للمعاجم العربيَّة التُّراثية الشهيرة كمختار الصحاح (١٨٧٠) والقاموس المحيط (١٨٧٢) ، الذى كان جُدِّد على يد المعلِّم بطرس البستانى ونُشِر مطوَّلاً ومختصرا (١٨٧٠) ، ولسان العرب وأساس البلاغة (١٨٨٢) وتاج العروس (١٨٨٩) وغيرها .

---

(١) والذين يؤرخون للنهضة العلمية فى هذا العصر يذكرون بالخير جهود محمود قبانو ومكتب العلوم العربيَّة الذى أنشأه أحمد باى أواسط القرن التاسع عشر فى تونس قبل أن يحتلَّها الفرنسيون عام ١٨٨١

وقد كان يُرجى للّغة العربيَّة فى هذا العهد أن تبلغ أعلى درجات الرُّقى لو أُتيح لها أن تكون وتستمرَّ لسان حال النهضة العلميَّة العصريَّة . لكنَّ سياساتِ الغرب الاستعماريةَ ماكانت تخطِّط لمثل هذا الانتعاش فى مسيرة اللغة العربيَّة - وقد أخذت تستوعبُ أسباب الحضارة ومتطلَّباتها العلمية بنجاح فى القاهرة وبيروت . فما أن ثبَّت الاجتياحُ البريطانى أقدامه فى مصرَ حتى عرقلَ هذه المسيرةَ - أولا بتحويل التدريس فى مدرسة الطبِّ إلى اللغة الإنكليزية عام ١٨٨٧ (بعد سبعة عقود من الإنجازات ، ليس أقلّها مصطلحيا قاموسُ الشذور الذهبية الذى تَرجم قاموسَ القواميس الطبيَّة الفرنسى لفابِر - الشامل فى مجلداته الثمانية كامل مصطلحات العلوم الطبية المعروفة حينئذٍ ، ولا أقلّها طبيا اكتشافُ أحد مدرسيها[1] جرثومةَ البلهارسيا) . ثُمَّ أكمل البريطانيون إجهاض المسيرة تلك ثانيا ، بقرار عامٌ عامَ ١٨٨٩ بأن تكون لغةُ التعليم فى مختلف المعاهد المصرية اللغةَ الإنكليزية . فأُغلِقت مدرسة الألسُن ، ونُفى رفاعة الطهطاوى ومؤيدوه إلى السُّودان ، ووُجِّهت البَعَثاتُ إلى إنكلترا (بدل فرنسا وإيطاليا) .

وما هو إلاّ عامٌ أو بضعُهُ ، حتى حذا الأمريكيون فى الكلية السورية الإنجيلية حذو البريطانيين ، فتحوَّل التدريس فيها ، للأسف ، من العربية إلى الإنكليزية بدءًا من العام ١٨٩٠ (بعد حوالى ربع قرن من تدريس الطب والصيدلة والعلوم الطبيعيَّة الأخرى فيها باللغةِ العربية بمستوًى راقٍ مرموق) .

وهكذا حرمت اللغةُ العربيَّة من فرصتها الذهبيَّة وغُرِست بذور الشكِّ والرِّيبة فى نفوس أبناء العربيَّة بِلُغَتهم - بأهمِّ مقوِّمات أصالتهم وحضارتهم . وفى يقين الكثيرين ، ويقينى ، أنه لو استمرّت جهود معاهد العلوم الطبيَّة والهندسيةِ والزراعية وسواها فى القاهرة ، لتتضافر مع جهود العاملين فى الكلية السورية الإنجيليَّة بمختلف فروعها ، معزَّزةً بجهود الميامين من رجال المعهد الطبى فى دمشق الذين حوَّلوا ، بنجاح مشهود ، لغة التدريس فى ذلك المعهد من التركيَّة إلى العربيَّة عام ١٩١٩ ، أقول : لو تمَّ لهذه الجهود أن تتضافر لكان حالُ العربية اليومَ غيرَ ما هو عليه اليوم ، ولكنَّا تجاوزنا منذ أجيالٍ تلك الحلقة المفرغة التى مازلنا فيها نحُومُ وندُور .

---

(١) الطبيب الألمانى تيودور بلهارس عام ١٨٥١

خِيارُ تعليم العلوم بلُغة أجنبيةٍ ماكان خِيَرَةً عربيَّة ، لا فى مشرق العالم العربى ولا فى مَغرِبه . بل إنَّ رافضى هذا الخيار ، ما فتئوا يُعارضونه منذ تنفيذه . وانتفاضة الدكتور كرنيليوس فانديك ، أحد أركان مدرسة الطبِّ فى الكلية السورية الإنجيلية ، بالاستقالة ، ومتابعته تدريس فريق الطلاب الذى انسحبَ معه إثر تطبيق قرار التحوُّل ، أبلغُ دليل على ذلك ، حتى لدى المخلصين من الأجانب .

كذلك نذكر حملةَ فريق من طُلاَّب الكليَّةِ نفسها ومتخرجيها الغيورين عام ١٩٢٠ بهدف إرجاع لغة التدريس فى الكلية (الجامعة الأمريكية فى بيروت حينئذ) إلى العربية ، وتأييد العديد من الصحف وقادةِ الرأى البارزين فى المَشرق العربى لتلك الحملة(*) . فإثر نشوة الحماس العاطفىِّ والثقافى والقومى التى واكبت تحويل لغة التدريس من التركية إلى العربية فى المعهد الطبى بدمشق إثر انهيار الحُكم العثمانى ، قامت حملةُ الطلاب ومؤيديهم لتستمرَّ قُرابة ثلاث سنوات مردِّدةً مطلب التعريب ، معتبرين أن الكلية (الجامعة) اغتصبت حقوق الشعوب العربيَّة بإحلال اللغة الإنكليزية محل العربية كلغة تدريس ، مما أدى إلى تخلف اللغة العربية ، فقلَّت فيها المؤلفات فى الطب والصيدلة والعلوم الطبيعية بعد أن زهت فى العقد الثامن من القرن الماضى .

وقد شغل موضوعُ التعريب فى تلك الحِقْبَة الكثير من صفحات المجلاّت المعروفة كالهلال والمقتطف والمشرق والنشرة الأسبوعية ومجلة الكلية وغيرها . وأُدرِجُ فيما يلى موجز مقال لكاتب معروف فى إحدى هذه المجلات حول موضوع « تدريس العلوم بالعربية » يُبيِّنُ أهداف حملة التعريب تلك ومبرِّراتها . يقول الكاتب :

١ - إن فى العَود إلى التعليم باللغة العربيَّة وهى لغة البلاد عود إلى الخُطة الطبيعيَّة والقاعدة العامة .

٢ - هذا العَود ضرورةٌ يدعو إليها التطور القومىُّ والسياسى الذى بلغته هذه البلاد ، وتقتضيه النهضةُ الأدبيةُ والعلمية العامة فى مصر وسوريا والعراق .

(*) من بينهم خليل مطران ومصطفى الرافعى ومحمد كرد على وجبران خليل جبران وعيسى المعلوف وأنطون الجميل وأمين واصف وغيرهم .

٣ – إنّه واجبٌ وطنىٌّ أيضـا ؛ لأن تعـمـيم التعليم باللغة العربيَّة يمكِّن روابط القومية بين أبنائها .

٤ – فى العودة إلى التعليم باللغة العربية ثراء تزداد به اللغة العربيَّة غنىً ونمواً .

٥ – التـعـريبُ يُسهِّلُ تناول العلم ، ويُوسِّعُ مجال التعليم والتأليف أمام أبناء هذه البلاد ، فيستفيد التلميذُ والأستاذ والمؤلِّفُ والطابعُ والناشِر .

٦ – إن العقبات التى كان يُقالُ باعتراضها سبيل التعليم باللغة العربيَّة ممكنٌ التغلُّب عليها ؛ فقد تيسَّرَ ذلك للأتراك مع أن لغتهم أحدثُ عهداً بالعلوم من اللغة العربية ودونها فى غزارة المادة(١) .

وردّاً على هذه الحملات ألقى الدكتور وليم فانديك ، من أساتذة الجامعة ، مُؤيِّداً من عمدتها ، خطابا فى مُنتدى الكلية قال فيه : « إنّ تغيير لُغة التدريس إلى اللغة العربية صعبٌ ؛ ولكنَّه ممكن » . وقد عدَّدَ الدكتور فانْدَيك فى خطابه الأضرارَ التى يجلبها على الطلبة التعليم بالإنكليزيَّة ، فكان منها « إنّك قَلّما تجد طالباً فى الجامعة يتكلّم العربيَّة دون أن يمزُج معظم كلامه بالألفاظ الإنكليزيَّة » . ثم أتى حضرته على ذِكر الصعوبات التى ارتأى أنَّه ينبغى التغلبُ عليها قبل تحقيق تغيير التدريس إلى العربيَّة ، فكان أهمُّها التالية :

١ – صعوبةَ ترجمة الألفاظ والمصطلحات العلمية إلى اللغة العربية .

٢ – قلة الكتب والمؤلّفات فى اللغة العربيَّة بحيثُ يتعذَّر على الطالب المطالعة والتوسع والوقوف على الاختبارات الحديثة .

٣ – صعوبة اللغة العربيَّة على الأمريكيين وعدم إمكانهم إتقانُها بوقتٍ قصير ، وقلّة وجود الوطنيين الأكفاء ليقوموا بأعباء وظائفهم .

هذا يا سادتى موقف جامعةٍ اللغةُ القوميَّةُ لِعُمدتها وغالبية أساتذتها هى اللغة الأجنبية . تعريبُ العلوم وتعريبُ تعليم العلوم ضرورىٌ ومُمكن فى أعلى مستوياته . والصعوبات التى يحدِّدها الناطق بلسان تلك الجامعة ماعاد معظمُها يؤلِّف عائقاً بالقدر الذى كان يصِحُّ فيه ، فى حينه ، قبل سبعين عاماً .

---

(١) انظر هذا المقال فى الملحق الثانى فى هذا البحث .

فماذا ياتُرى يقول ، فى تحدِّى هذه الصعوبات ، عُمداءُ وعُمَدُ جامعاتنا السبعين اليوم ، ومعظمها يدرس مواد العلوم المختلفة ، وحتى مواد العلوم الإنسانيَّة فى بعضها ، بغير العربيَّة ؟ فى حين تنص دساتير معظم هذه الجامعات على أن لغة التدريس هى العربية إلا فى حالات معينة استثناءً ؛ وفى حين تؤكد كل مؤتمرات خبراء التعليم والمجامع ومؤتمرات الوزراء المسئولين عن التعليم العالى والبحث العلمى فى الوطن العربى ضرورةَ الخروج من الحلقة المفْرَغة والبدء بتنفيذ التعريب فى مختلف ميادين العلوم وعلى كلِّ المستويات .

اللغة العربية باعتراف العالم أجمعَ ، هى اللغة الرسمية الدولية السادسة - إنْ كان فى مجلس الأمن أو فى المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم أو فى هيئة الأمم المتحدة ومختلِف وكَالاتها . لكنها للأسف فى وطنها - فى غالبيَّة معاهد التعليم العالى بخاصةٍ ، فى أقطارنا العربية ، هى اللغة الرسميَّة اسمًا والدُّونُ فعلا ، فى أهم مجالٍ حياتىٍّ حضارىٍّ لدينا .

كيف لا والطالب عندنا يرى المواد الرئيسية فى مختلف العلوم وفروع الرياضيات تدرس باللغة الأجنبيَّة ، وأنَّه يتقدَّم للامتحانات الحاسمة فى مصيره باللغة الأجنبية ، وأن مستقبله العلمى والمهْنى والاجتماعى مرتبِط باللغة الأجنبية . الواقع أن هذا الموقف لا يقتصرُ على الطالب وحده ، فهو إلى حدٍّ تأصَّل فى لاوعى الأهل - ولا نبرِّئُ أنفسنا - وأحيانا حتى فى لا وعى الأساتذة وإدارات التعليم فى الكثير من القطاعات .

أليس مؤسفا ومُذِلاً أن الأكثر من عشرين بلداً من بلاد العرب ، مفردةً ومجتمعةً ، تتعاجز عن تجاوز صعوبات موهومةٍ فى معظمها - فى حين نجح فى تجاوزها قُرابةُ المئتى بلدٍ فى عالمنا اليوم - عدد سكان الكثير منها لا يتجاوز بضعة ملايين ؟

يقولون إن التعليمَ باللغة العربية سيكون على حساب العلم والمستوى العلمى - والبعضُ يصدقونهم .

قالوا هكذا عن تعليم العلوم باللغة العربية فى المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية . ثم طُبِّق تعريب هذه المواد فى مختلف هذه المراحل فى غالبيَّة أقطار الوطن العربى ، ولم ينخفض مستوى تعليم العلوم بسبب ذلك ، لا فى مصر وسوريا والعراق ولا فى تونس

والجزائر . الثابت أنه فى محاولة تعريب العلوم فى الجامعات الأردنية التى رعاها مجمعُ اللغة العربية الأردنى ، أظهرت امتحانات الطلبة أن نسبة الرُّسوب ، بين طلبة السنة الجامعية الأولى ، الذين درسوا كتاب علم الأحياء (البيولوجية) بالإنكليزية ، انخفضت من ٢٦٪ إلى ٤٪ بين طلبة السنة الجامعية الأولى التالية الذين درسوا الكتاب نفسه بالعربيَّة – مغطِّين مادة أوسعَ وبصورةٍ أعمقَ وأدق . وأن تحصيل الطلبة العلميِّ فى مادة الكهرومغناطيسية ارتفع بين دارسى المادة بالعربية إلى ٨٧٪ ، بينما لم يكن يتجاوز ٥٠٪ عندما كانت المادة تُدرَّسُ باللغة الإنكليزية[١] .

وأذكر أنه فى حركة تعريب العلوم فى المرحلة الإعدادية التى طبَّقتها مدارس جمعية المقاصد الإسلامية فى لبنان أثبتت الاختبارات أن الطلاب الذين تحوَّلوا إلى الإنكليزية فى المرحلة الثانوية كانوا أكثر إلماما بشكل ملحوظ بالمفاهيم العلمية والرياضية من سواهم[٢] ، كما أن مشكلة التعبير باللغة الأجنبية ومتابعة الدروس بتلك المواد فيها ، فى أيامهم الأولى ، لم تؤثِّر على مستوى أولئك الطلبة واستيعابهم . حتى إن الإدارة لحظت أن الأسبوع الذى خُصِّص لتمهيد ذلك بدراسة نصوص فى اللغة الأجنبية من العلوم والرياضيات لم تكن الحاجة له مُلِحَّة[٣] .

وقالوا إن تدريس العلوم والرياضيات فى المرحلة الثانوية باللغة العربية يُعيقُ الدارس لاحقا عن متابعة الدراسة بلغة أجنبية .

وقد ثبت بطلان ذلك منذ بضعة عقود فى دراسةٍ حول خلفية الطلاب المتميزين فى السنتين الأوليَين فى الجامعة الأمريكية على مدى نصف قرن ، فقد كشفت الدراسة تفوُّقا عاما ملحوظا للطلاب من بلد عربى ما كانت مدارسه الثانوية فى غالبيتها تعتمد اللغة الإنكليزية كلغة التدريس فى مواد العلوم والرياضيات . واللافتُ أن مستوى أولئك الطلبة فى اللغة الإنكليزية كان أفضل عموما من مستوى القادمين من مدارس تعتمد

---

(١) د . عبد الكريم خليفة – اللغة العربية والتعريب ، ص ١٤٧ – ١٧٠ تجربة مجمع اللغة العربية الأردنى فى تعريب التعليم العلمى الجامعى .

(٢) محاضرة مدير مركز إعداد المعلمين لجمعية المقاصد الخيرية فى بيروت الأستاذ كامل شاهين .

(٣) المصدر نفسه .

الإنكليـزية أو الفـرنسيـة فى تدريـس تلك المواد(١) .

كذلك ثبت بطلان هذه المقولة فى إنجازات الأطباء السُّوريين الذين يتابعون دراساتهم فى الخـارج ، وفى المؤتمرات التى يعـقـدُها هؤلاء الأطبـاء (المقيـمـون منهم والمُغتَـربون) فى دمشق دوريًا كلَّ عام .

إن الدراسة العلمية باللغة القومية ، ماكانت أبدا عقبةً أمام متابعة التخصص الجامعى – وإلا كيـف نفسر إنجازات الطلاب الألمـان أو الطليان أو الصينيين أو المجريين أو سواهم ممن يتابعون دراساتهم فى أمريكا أو فرنسـا أو بريطانيـا ! ؛ حـتى الذين يجـهلون اللغـة – لغة التخصص ، فإن إعدادهم لذلك لا يستغرق عادة أكثر من سنة .

ويقـولون فى مـعـارضـة تعـريب العلوم إن تدريس العلوم بلغـة أجنبـيـة ضـرورىٌ لرفع مستوى أولئكم الطلبة(٢) فيها . ويحتجُّون بأن التعريب يَحرِم الطالب من التواصل المستمر مع مصادر تخصصه . وهذا مردود . فالتعريب لا يعنى بحـال من الأحوال إهمـالَ اللغـة الأجنبـيـة ؛ بل على العكس ، التـعـريب ، وبخاصة تعريب العلوم ، يفـترض استمرارية التواصل باللغات الأجنبية على الطلاب ، كما على الأساتذة . فمـهـما قلنا فى ثراء العربية وطاقاتها وإمكاناتها الهائلة ، فلا أحد يجهل أو يُغفِل البَون الشاسع بين ما وصلت إليه علوم الحضارة الحديثـة وتِقاناتها ، وما حققنا نحـن أو عرَّبناهُ حتى اليوم من هذه العلوم . إن تعزيز اللغات الأجنبيَّة فى مراحل التعليم المختلفة ، الثانوية والعاليـة ، وإتقانَ العـالِم العربى لغة أجنبـيَّـةً واحـدةً ، على الأقلِّ ، من اللغـات العالمية بمستوى رفيع ضرورةٌ يقتضيها ويفرضها تعـريب العلوم . إن إتقـان العـالِم لغـة عـالميَّةً أخرى إلى جانب لغته ، حتى فى بلدان العالم المتطوِّرة ، يكاد يكون هو القاعدة . فلا أعتقد أنّك تجـد عالمـا فرنسـيًا أو ألمـانيًا أو روسيًا أو يابانيا فى الفيزياء مثلاً ، يجهلُ الإنكليزية . إن كل عالم من هؤلاء يدرس اختصاصه بلغته ، لكنَّ اللغة الأجنبيَّة هى سبيله إلى التواصل

---

(١) كاتب هذه السطور ينتمى إلى هذه الفئة من الطلاب .

(٢) وأعجب العجب أن لا مانع لديهم أن يطلب من خريجى جامعات غير انكليزية (فرنسية أو ألمانية أو ايطالية أو روسية الخ) التعليم بالانكليزية لرفع مستوى الطلاب فى تلك اللغة .

مع نظائره من العلماء ، وإلى متابعة دوريات العلم فى البُلدان المتطوِّرة فى مجال اختصاصه .

وخيراً فعلتْ اللجنة العليا للتعريب فى جامعة الخرطوم ، حسبما أخبرَنا رئيسُها الدكتور عبد العزيز إبراهيم ، حين عزّزت التحول من التدريس باللغة الإنكليزية إلى العربية بتقوية ملكة الطلاب فى كلتا اللغتين بواقع ساعتين فى الأسبوع لكل لغة على مدار العام الدراسى ، وعلى مدى الأربعة الأعوام الأولى فى كل تخصص(١) .

القائلون بالتعريب ليسوا ضد تعزيز تعليم اللغة الأجنبية – إنما هم يعترضون بشدة على إحلال اللغة الأجنبية محلَّ العربية كلغة لتعليم العلوم . فكما يَفترض التعريبُ أن يمارس المهندس أو الطبيب أو الزراعى أو حتى الجيولوجى مهنَته على الناس ، وللناس باللغة القومية ، رابطتِه بهم ووسيلةِ تفاهمه معهم ، فإن نجاح مسيرة التعريب واستمراريتَها يتطلبان أن يكون هذا المهندس أو الطبيب أو الخبير الزراعى ضليعا بلغة أجنبية يتواصل فيها وبها مع العلماء أو مع منجزاتهم لمتابعة الركب العلمى فى تخصصه والوقوف على آخر ماتوصل إليه زملاؤه العلماء فى العالم من حوله ، فلا تحصل فجوة علمية حضارية بين ما درسه هو كطالب وبين ما يتمُّ بعد تخرجه كممارس .

إن الحاجة إلى إتقان لغة أجنبية عالمية معاصرة هى اليوم مطلب تربوى أساسى لكل مثقّف عربى أو غير عربى، عالِم أو غير عالم . لكن هذا لا يفترض ولا يتطلّب اعتماد اللغة الأجنبية تلك كلغة لمختلف دراساتهم الأساسية . اللغة الإنكليزية ، مثلا ، كما ألمحتُ سالفا ، هى اليوم حاجة ضرورية يومية للعالم الفرنسى والألمانى والروسى واليابانى والكورى وأى عالم من أى قومية كان ، فلماذا يا تُرى لم تُطرَح مسألة اعتماد اللغة الإنكليزية فى تدريس مواد العلوم فى أىٍّ من هذه البلاد ؟

ما أثبتته الدراسات التربوية واللسانية فى بُلدان العالم المتقدِّم يؤكد أن التحسين فى مستوى اللغة الأجنبية يرتبط وثيقا بكفاءة المعلمين وصلاحِيَة المناهج والوسائل التعليمية والمدرسية التى تتناول ذلك ، لا بتعليم العلوم أو تعليم الرياضيات بها .

---

(١) حديث حول مسيرة التعريب فى جامعة الخرطوم – للدكتور عبد العزيز الطيب إبراهيم فى ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربى وسبل إشاعة المصطلح الموحد» عمان (أيلول ١٩٩٣) .

ويحتجُّ معارضو تعريب العلوم أيضاً بعدم توافر الكتب والدوريات والمصطلحات العلمية وبضرورة توافر هذه المستلزمات قبل بدايات التعريب . وخبرةُ الأقوام كلِّهم ، وخِبرتُنا فى بدايات عصر النهضة ، تؤكد أن هذه كلَّها تأتى بالطريقة المثلى مزامنةً ومواكبة التعريب لا قبله . إذ لايمكن توافر الكتب والدوريات والمراجع العلمية العربية مادام تعليم العلوم يجرى بلغة أجنبية . اسألوا أعضاء مجلس كلية طب جامعة القاهرة أين أضحت كتب تعليم الطب التى وُضِعت بالعربية إثر العدوان الثلاثى على مصر للسنوات الأولى والثانية والثالثة ، فلم يُستَعملْ منها إلا كتب السنة الأولى لِفَترة لم تطُل . اسألوا مجمع اللغة العربية الأردنى ، وقد بذل جهوداً رصينة جبارة فى ترجمة وإعداد كتب علمية لم تجد من يُدرِّسها - رغم عرضها على مختلف جامعاتنا فى الوطن العربى ، اسألوا المركز الإقليمى لمنظمة الصحة العالمية بالإسكندرية ، وقد أعدَّ كتبا قيمة فى الطب بإشراف نخبة من العلماء العرب ، فلم يتحمَّس ناشرٌ لإصدارها - وكلهم يتساءل معتذرا : « أنشُرها لمن ؟ » .

مشكلة الكتب والدوريات والمراجع ، والمصطلحات العلمية أيضا ، مشكلة واحدة مترابطة ؛ وهى فى الواقع مشكلة كل لغة وليست خاصة باللغة العربية . وإلا ماذا كان يقول الكورى والألبانى والبُلغارى واليوغسلافى والإيرانى والتركى والخمسون ثقافة التى كانت تؤلِّف الاتحاد السوفيتى - وكلُّهم طبقوا توطين العلوم واستنباتها بلغاتهم القومية بإمكانات لغوية ومادِّية وبشرية تتقزَّم أمام الإمكانات اللغوية والمادية والبشرية العربية .

تعريب العلوم صعب ، لكنه ممكن - ممكن إذا توافر له العزم والنوايا الصادقة والثِّقة بالنفس والهمم المؤمنة القعساء . هكذا تم تعريب العلوم من فيزياء وكيمياءَ ونبات وحيوان وطب وصيدلة فى مدرسة الطب فى (أبو زعبل) ثم فى قصر العينى بكتب ، يقول مقرر لجنة المعجم الطبى الموحد(١) ، تشهد بالمستوى العلمى الراقى الذى كان عليه ذلك التعليم ، والذى لم يكن ليَقِلَّ عن مثيله فى أى بلد من بلدان الغرب حينئذ .

أو كما توافرت فى الكلية السورية الإنجيلية حيث حققت كتب كرنيليوس فانديك

---

(١) الدكتور محمد هيثم الخياط ، فى محاضرة بعنوان « تعريب العلوم الطبية » ، الموسم الثقافى الثانى - منشورات مجمع اللغة العربية الأردنى ١٩٨٤

فى الكيمياء والطب والفيزياء وعلم الأمراض ، وكـتبُ يوحنا ورتيـات فى التـشـريح والفسيولوجية ، وكتب جورج بُوست فى النبات والجراحة والأقرباذين ، نجاحاً مرموقاً سـبق أن أُلمِحَ إليه .

وطبعا لا نَنْسى لَفْتَ المحتجِّين والمشككين إلى الإنجاز الرائع الحى المستمر الذى حققه ويحققه روادُ التعريب من أساتذة المعهد الطبى فى دمشق من أمثال مُرشِد خاطر وأحمد حمدى الخيَّاط وصلاح الدين الكواكبى وحسنى سبَح وخَلفِهم الأماجد ، فى تحدى صعوبات تعريب العلوم وتجاوزها .

وإذا أردنا العِبرة من خارج الوطن العربى ، فلنعتبر بما حققه اليابانيون ، وهم مزامنون لنا فى الصحوة الحضارية ، منذ انطلقت بعثاتهم إلى الغرب أواخرَ القرن الماضى (ولم تكن أمريكا تستقطب طالبى العلم حينئذ) فنقلوا العلم إلى اليابانية ، وحققوا بتوطينه واستنباته فى بيئتهم ، ما تعرفون من جبروت الحضارة اليابانية ، مع المحافظة على اللغة والتراث والكرامة .

وعذرا إن أنا استشهدت بالجامعة العبرية (وسائر الجامعات العبرية اليوم) التى راحت ، منذ بدأت ، تدرِّس مختلف مواد العلوم مُعَبْرَنَةً . عذراً لو قارنت إنجازات الجامعة العبرية فى القدس بمثيلتها ، أعرَق جامعاتنا فى القاهرة ، التى قامت رسميا (بتسلم الدولة زمامها من مؤسسيها) فى الوقت نفسه تقريبا . وكم كنت أتمنى لو يطمَئنُّنى أحد إلى أن إنجازات خريجى أعرق جامعاتنا هذه ، التى اتخذت (طوعاً أو كَرهاً) اللغةَ الإنكليزية لغةً لتدريس مختلف مواد العلوم منذ تأسيسها ، تُقارَن إيجابياً فى أى مجالٍ علمى أو تِقْنى أو طبى بإنجازات خريجى مزامنتها التى تدرس كل مواد العلوم والتُّقانات باللغة العبرية .

أيها الزملاء

مؤيدو تعريب العلوم لا ينكرون أن ما لدينا من مصطلحات ومن كتب ودوريات ومراجعَ علميةٍ قليلٌ ومحدود ، كما لا ينكرون أن المكتبة العربية بمجملها تشكو من نقص فى نتاج الفكر العالمى ، لا فى العلوم فقط ، بل فى شتى مجالات الثقافة . لكنهم يتساءلون ، أليس تقاعسنا عن عملية التعريب ومواكبة التطور العالمى المستمر ، وإغناءِ لغتنا بالترجمة

والتأليف ، أليس هذا التقاعس هو المسؤول عن هذا النقص ؟

الذين يطلبـــون توافـــر الكتب والمراجع والمصطلحات قبل التعريب يضعون العربة أمام الحصان ، ويقينى أنهم أدرى الناس بذلك .

لماذا إذن التقاعس عن تعريب العلوم ؟ بل لماذا التقاعس أمام تدريس العلوم معربة ؟ فالسؤالان فى الواقع مترابطان .

الأسباب الخفية لمعارضة حركة التعريب فى بعض العالم العربى تعود إلى عواملَ سياسيةٍ انتمائية - عِرقية أو طائفية الجذور ، لا مجال لإثارتها فى منتدى لغوى علمى ، لذا نتعرض فقط للأسباب الظاهرة العامة .

يُجمع العارفون ممن عايشوا محاولات التعريب أن السبب الأهم وراء فشل أو عرقلة إمكانية نجاح حركات تعـــريب العلوم كان ولا يزال موقف الهيئات التدريسية فى الجامعات العربية .

إن معظم جامعاتنا ومعاهـــدنا تعتمـــد فى إعداد هيئاتها التعليمية على خريجى الجامعات الأجنبيـــة ، ممـــن تَبْتَعِثُهُم الدولـــة أو الجامعـــات ، أو الـذيـــن اســتطاعـــوا أو يستطيعون ذلك بوسائلهم الخاصة . وهؤلاء بحُكم القانون الطبيعى فى اختيار المسار الأسهل لايرحِّبون بالتعريب ، إن لم يعارضوه علنا ؛ لأن التدريس بالعربية سيتطلّب منهم جهدا مضاعفا يتهيَّبونه . فالتعبير السليم باللغة العربية غير متَيسِّر لكثرتهم الكاثرة أولاً ، ثم إن التدريس بالعربية يقتضيهم جهداً إضافيا فى الإعداد والتفتيش عن المصطلحات أو وضعها ، وهم بهذا الجهد ضنينون !

وإلى مثل هؤلاء يشير الدكتور محمود السَّمرة نائب رئيس مجمع اللغة العربية الأردنى فى قوله : « ولو أنهم اقتداءً بالأشاوس ، رجال المعهد الطبى فى دمشق ، آمنوا أن التدريس بالعربية يعنى محافظة الأمة على شخصيتها وتراثها ، وأن أفراد الأمة لايمكن أن يبدعوا إلا من خلال لغتهم ، وأن الطالب لايمكن أن يستوعب المادة استيعاباً دقيقاً ، فى الوقت الأقل ، إلا من خلال لغته ، لهان عندهم أىُّ جهد يمكن أن يقدموه من أجل التعريب[1] .

ولا نستهين بسلبية موقف القِلةِّ من أولئك الذين شُدِهوا بحضارة الغرب وتقنياته ، فتحول

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى - العدد المزدوج ١٥ ، ١٦ (١٩٨٢) ،

انتماؤهم فكريا ، وربما عقائديا ، نحو الغرب .

فإذا عُرِضت فكرة تعريب العلوم هزُّوا رؤوسَهم ونأوا بجانبهم غير مُكْتَرثين حينا ، وأحيانا ساخرين . هؤلاء تغرَّبوا فنَسَوا مِشيتَهم ، وكنا نريدهم يتغربون ، لا كالغراب بل كالنحل يعودون إلى خلاياهم حاملين عسلا بما جَنَوا من رحيق تلك الثقافات .

يا سادتى هنالك ناحية ، ربما حَرِجة وجدلية ، لكنها أساسية فى موضوع العلوم تعريبا أو تغريبا ، يثيرها السؤال التالى :

هل إن مدرسى مختلف العلوم عندنا فى غالبيتهم ، وفى العالم العربى إجمالا ، يجيدون ، هم وطلابهم ، اللغةَ الأجنبية التى بها يُدَرِّسون ويَدرُسون ؟

أنا ، من خبرتى الشخصية ومطالعاتى ، أستطيع الإجابة عن هذا السؤال ، بالنسبة إلى اللغة الإنكليزية ، مع شئ من الجرأة والاعتذار ، بالنفى – على الأقل بالنسبة إلى الطلاب .

لقد اطّلعت خلال حياتى التعليمية وتجوالى فى بعض البلدان العربية على كتب طلاب (فى مراحل التعليم المختلفة) ممن يدرسون مواد تلك الكتب بالإنكليزية – من العلوم والرياضيات البسيطة حتى الطب والهندسة ، فوجدتها ، عند المجتهدين بخاصة ، تعجُّ بالمرادفات القاموسية العربية (غير الدقيقة أحيانا) بحيث تكاد تغطى أسطر الكتاب المطبوعة . والطالب المسكين لامناص له من ذلك إن اعتزم استيعاب مفاهيم تلك الأسطر . فالمفردة الواحدة إن جهل معناها ضاع مفهوم النص بكامله . هذا ، وليس خافيا أنه حتى لو عرَف الطالب كل المقابلات العربية لكل مفردات النص ، فإن عملية التعلم تظل تكتنفها الصعوبات – بالمقارنة مع عملية التعلُّم فيما لو كان الطالب يقرأ نصا بالعربية . وهذه الصعوبات تنعكس بالتالى نقصا فى قدرة الطالب على استيعاب مادة النص ؛ فلا يتيسَّر له التعبير عنها تعبيراً صحيحًا – لا بالإنكليزية ولا حتى بالعربية .

وقد اطلعتُ على نتائج دراسات أُجريَت فى جامعات بعض من الدول العربية ، حيث الانكليزية هى لغة التدريس ، تشير إلى أن خريجى الثانويات الذين يتقدمون إليها لايستطيعون ، على الأغلب ، متابعةَ دراساتِهم لأى موضوع بالإنكليزية ؛ وأن تحصيلهم فى اختبارات الكفاءة اللغوية لايؤهلهم لدخول

الجامعات الناطقة بالإنكليزية فى السنة الجامعية الأولى حيثُما كان .

وفى استفتاء للأساتذة فى إحدى جامعاتنا المشهورة حول تقييمهم لقدرات طلابهم فى مهارات اللغة الإنكليزية قيِّم ١٠٪ فقط منهم مقدرة طلابهم فى المحادثة بأنها جيدة أو جيدة جدا ، بينما قيِّم ١٤٪ منهم فقط مقدرة طلابهم الكتابية فى اللغة الإنكليزية بذلك المستوى . أما إن كان طلابهم قادرين على استيعاب مساقاتٍ باللغة الإنكليزية ، فقد اقتصرت نسبة ردود الأساتذة إيجاباً على ٥٣٪ فقط . وهذه جرأة مشكورة من الأساتذة فى جامعة ترى إدارتها فى استخدام الإنكليزية لغة تدريس ، مبعثاً للتفاخر والاعتزاز(١) .

هذا الوضع لعلّه لايمثل كامل الصورة - فالجامعة التى أجريت فيها هذه الدراسة هى ذات مستوى جيدٍ عموماً . وقد خُطِّط لها حين أُسِّست أن تكون كمعهد مَسَاشوسِتْس التِّقانى (MIT) فى الشرق الأوسط . فلاستكمال الصورة ، دعونى ألخص لكم حديثاً كان شافهنى به صاحبه ، ثم قرأته فى نص محاضرة له ألقاها فى مجمع اللغة العربية الأردنى بمناسبة موسمه الثقافى الثانى .

يقول سيادته :

« لقد دفعنى عملى الذى أضطلع به حالياً إلى الاطلاع عن كَثَب على تعليم الطب فى الجامعات المصرية (وسواها) فرأيت أستاذاً يستعمل لغة لايعرفها لينقُل العلم إلى طالب لايعرف هذه اللغة أيضا .

ويتابع حضرته :

« وأوراق الامتحانات التى اطّلعتُ عليها فى بعض جامعاتنا التى تدرِّس بلغة أجنبية وينجح كاتبوها ، لو أنها كُتبت وصحِّحتْ فى البلد الأصلى لهذه اللغة الأجنبية ، لكان إعطاؤها واحدا على عشرة صَدَقةً من الصدقات(٢) .

---

(١) يراجع فى هذا الصدد مبحث « لغة التعليم العالى فى الجامعات العربية ، دور الإنجليزية فى سياق التعرب » ، للدكتور محمد راجى الزغول والدكتور رياض فايز حسن ، مجلة مجمع اللغة العربى الأردنى العدد ٣٣ (١٩٨٧)

(٢) الدكتور محمد هيثم الخياط ، نائب مدير المكتب الإقليمى لشرق البحر المتوسط فى منظمة الصحة العالمية - « تعريب العلوم الطبية » ، الموسم الثقافى الثانى لمجمع اللغة العربية الأردنى ١٩٨٤

وإلى مثل هذا أشار المرحوم الدكتور محمد أحمد سليمان فى سياق حديثه حول عودة كلية طب جامعة القاهرة عن التدريس بالعربية إلى التدريس باللغة الإنكليزية بقوله « وعادت الكتب الإنكليزية ، وعاد الأساتذة يلوُون ألسنتهم برطانة أعجمية لايفهم الطلاب أغلبها . والأدهى من ذلك أن كثيراً من المدرسين الجدد لايفهمون كثيراً منها أيضا ، ولكنهم يُلقونها على الطلاب كأنهم أجهزة تسجيل(١) .

ولا أزيد أكثر من أنى ألحق ببحثى هذا صورة عن مقدمة بالإنكليزية لقاموس إنكليزى - عربى فى علم الأجِنَّة لعالم ألف وعلم بالإنكليزية فى كليتى طب عريقتين على مدى ثلث قرن وأكثر . إن مستوى اللغة فى هذه المقدمة (وهى ليست كتابة مرتجلة طبعا) لايمكن أن يكون مؤهِّلا ، لا لمدرس ولا لطالب ، للتواصل والتفاهم بهذه اللغة . ولا أعتقد أن الدكتور الخياط أو الدكتور سليمان أراد التعبير عن أكثر من ذلك .

إنى لا أزعم أن مستوى الطلاب فى اللغة العربية ، فى مجالات التعليم العالى بخاصة (ولا أتعرض لمستوى الأساتذة) هو فى المستوى المؤهِّل لدراسة العلوم على اختلافها بالعربية . ولكنى مقتنع ولا أظنكم تخالفون ، أن مستواهم فيها يظل أعلى قدرا وأكثر تأهيلاً لاستيعاب مايدرسون بها ، منه باللغة الأجنبية .

تعريب العلوم ضرورة علمية ، وهو أيضا ضرورة حضارية تنموية للإنسان العربى وتفكيره تقتضى عَضْوَنَة العلم وتأصيله باللغة العربية فى الوطن العربى . وإلا كيف يصل العلم إلى الفلاح والنجار والبنّاء والخباز والحداد والصانع والسمكرى وسائق السيارة وغيرهم من أفراد المجتمع . كيف يصل العلم إلى هؤلاء إذا كانت كليات الزراعة والصناعة والهندسة والكيمياء والعلوم المختلفة تخرِّج لهم من لايستطيعون إيصالَ مايتعلمونه إليهم .

والتعريب كذلك ضرورة قومية - يقتضيها ترابُطنا أفقياً كأمةٍ أو على الأقل كشعوب على مدى الوطن العربى ، ويقتضيها ترابطنا عمودياً مع تاريخنا وجذورنا وتراثنا وعروبتنا . لقد نجح الاستعماريون ، والمنتدَبون من قِبَل أنفسهم ، فى تقسيم الوطن العربى سياسيا وإداريًا واقتصاديًا وحتى ثقافيًا ، ولكنهم رغم محاولاتهم المتعددة لم ينجحوا فى تمزيق اللغة العربية ؛ فظلت ذلك الرابطَ الحضارى القومى الروحى ؛ والتعريب هو تمتين لهذا الرابط .

---

(١) الدكتور محمد أحمد سليمان ، مداخلته فى الموسم الثقافى الثانى لمجمع اللغة العربى الأردنى ١٩٨٤

والتعريب حتى يتجاوز كل ذلك ، لأنه قضية كرامةٍ – كرامةِ لغةٍ وكرامةِ أمة .

اسمعوا ، أرجوكم ، حديث بِنْ يهودا إن لم يكن قد أتاكم .

عند تولّى البريطانيين مسؤولية الانتداب على فلسطين عام ١٩٢٠ أصدرت حكومة الانتداب عملةً نُقِش عليها اسم فلسطين بالإنكليزية والعربية ولم تظهر اللغة العبرية عليها . فما كان من بن يهودا ، أحد بناة إسرائيل ، إلا أن كتب إلى المندوب السامى بِحدّة (وكان إنكليزيا يهوديا) يقول : إنها لإهانة قومية أن تكون العبرية فى منزلة دون منزلة الإنكليزية والعربية . ولم يمض طويلُ وقتٍ حتى كان له ، ولهم ، ما أريد ، وظهرت العملة المجددة منقوشة باللغات الثلاث بشكل دائرى – لتأخذ العبرية منزلة مكافئة .

ولكن ماذا كتبوا ؟ لم يكتبوا « فلسطين » كما فى الإنكليزية والعربية ، بل سطّروها ، طوّبوها بالعبرية : ريتْس إيزراييل « أرض إسرائيل » ؛ فهل لأهل « وامعتصماه » أن يعتبروا !

إذا كنا حقا نؤمن أن التعريب ضرورة علمية وضرورة حضارية وضرورة قومية وقضية كرامة – الآنَ الآنَ وليس غدا ، فماذا ننتظر والوسائل غير مجهولة والسبيل بيِّنٌ . سلكه السلف أيام المأمون وبيت الحكمة فعربوا وأبدعوا ؛ طبّقه باراسيلْزُوس – ثِيوفْراستُس بومباست – حين أحرق الكتب اللاتينية ، ومن ضمنْها ترجمات القانون لابن سينا ، فى ميدان حاشد فى مدينة بال وحوله جمهرة من الطلبة يهتفون (فى ٢٤ من حزيران ١٥٢٧) . ثم راح هو ومحازبوه يحاضرون ويؤلفون بالألمانية ؛ وحذا الأوروبيون حذوه فى التعليم والتأليف بلغاتهم القومية وأبدعوا ، وكتب بها شكسبير للإمبراطورية البريطانية فشمخت وتعززت ؛ ثم زالت الإمبراطورية ، لكن ظلت إمبراطورية اللغة وإمبراطورية شكسبير !

ولو نجيل النظر حولنا ونعتبر

لرأينا العلوم تفرسنت فى إيران ،

والتتريك طال العلومَ فى تركيا – ولو تسألون كيف وبماذا ! .

إثر حملة تولاها ما سُمُّوا فيما بعدُ « الطلاب المجاهدين » وأيّدتها الصحافة والرأى العام ؛ فما كان من رئيس الشورى العسكرية أسعد باشا إلا أن استدعى ثلاثة من كِبار هيئة التدريس الأجانب وسألهم : أيُّها أجدى وأعود بالنفع على الأمة – التدريس بلغة أجنبية أم بلغتنا القومية ؟ فكان جوابهم : التدريس بالتركية طبعاً أجدى ؛ فكان التتريك

واللاقِتُ ، كما يُخبَرُنا المرحومُ الدكتور حُسنى سبح ، أنّ تتريكَ الطبِّ كان فى الحقيقة شِبْهَ تعريبٍ ، اذ أنّ حوالى ٩٠٪ من مُصطلحاتِهم كان ألفاظًا عربيّة(١) .

والذين اغتَصبوا أرضَنا ، ياسادتى ، ألم يُعَبْرِنوا العلومَ على اختلاقها ، والأبحاثَ بمُختلفَ تِقاناتها ، بلُغةٍ مَوات ؟ - باللغة التى أقاموها من العَدم ، بعَد دُثورٍ دامَ عشرين قَرناً. فجعلوا منها لا لُغَةَ التدريس فى شتّى العلوم والتقانات فقط ولا أداةً حضاريّةً تُقامُ بها الندواتُ العلميــة فى علوم الذرةِ وتِقانة الإلكترونيات فحَسْب ، بل جعلوا منها أيضا وسيلةَ ترابُطٍ جامعةً أسهمَتْ فى خلق الكِيان الصهيونى وتوحيد شراذِم المُهاجرينَ إليه ، المُتَعدِّدى المشارِب واللُّغَى !

وماذا بَعْدُ ! يَحْضُرنى قَولٌ للبِيرونى فى كتاب الصيدنة ، لعَلّه غيرُ بعيد المَتات عن لُبِّ مَوضوعنا . يَقولُ أبو الرَّيْحان :

« لو كانَ فى نواحِينا مِثْلُ دِيسْقُوريديس - مَن يَصْرِفُ جُهْدَه على تَعَرُّف ما فى جِبالِنا وبَواديـنا ، لكانَتْ تَصيُر حشائِشُنا كُلُّها أدْوِية » .

وأنا أستعيرُ التَّشبيه لأقول : لو كان فى نَواحينا أمثالُ المأمون وباراسيلزوس وشِكسبير وأسَعد باشا وبِن يهُودا ، لما كانَتْ قضيَّةُ ، بلْ قضايا ، تعريبِ العلوم اليومَ ، من شَواغِلنا .

شكراً لكُم !

احمد شفيق الخطيب

عضو المجمع المراسل

من فلسطين

---

(١) حديث للدكتور حُسنى سبَح فى مجمع اللغة العربية الأردنى أوردته مجلة اللسان العربى العدد 27 (عام ١٩٨٦) .

الملحق الأول (أ) و(ب)

الملحق الأول (أ)

نهاريات **تعلموا من المأمون !** بالفعل ، القصة بدأت تشغل البال .

كلّمـــا دقّ الكوز بالجـرّة ، يهـــدر بعض الأصوات مهدداً متوعداً : اوعا عروبة لبنان .

وعلى الطالع والنازل ، ومن دون ســـبب جـوهرى ، ينقـزون الناس : الويل لكم إذا دق أحد بعروبة لبنان .

ما بها عروبة لبنان ؟

بل ماذا يقصدون بعروبة لبنان ؟

وإلى عروبة أى بلد من بلدان العرب يريدون انتساب هذا اللبنان ؟

وعلى أى أساس وفى أية مجالات ؟

تعالَوا نتصارح ونتفاهم : من هم الداعون إلى العـروبة والتـــعـريب ، ومن هم المطلوب تعريبهم ، وممن الخوف على عروبة هذا البلد ؟

هل المطلوب تعـريب اللغـة اللبنانيـة ، واللبنـانيـون هم الذين صقلوا اللغة العربيـة ، وأبدعوا باللغة العربية، وبشـروا باللغة العربية، وأطلقوا اللغة العربية إلى القارات الخمس ؟

أو المطلوب تعـــريب الأزياء ، وتعـــريب الأسماء ، وتعريب المأكل والعادات ؟

عروبة لبنان ....

فـهـمنا . أهى العـروبة تصـريح وتظاهرة وخطاب وبيان ؟

أم أنهـا تجـارة يلجـأ إليـهـا من يضـربه الإفـــلاس ، وقناع يرتديه من تحـــوم حـــوله الشبهات ؟

أمـس وقبـله سـمـعنا نواباً ومـسـتنوبين يقـيـمـون الدنيـا ويقـعـدونهـا لأن بعض

المصطلحات والتعابير والأسماء يتعلمها تلاميذ المرحلة الابتدائية باللغة الأجنبية بلغتها الأم .

ياغيرة العروبة ، هذه مؤامرة على عروبة لبنان .

المقصود ، إذن ، تعريب الكتاب الأجنبى ، تعريب الرياضيات والعلوم ، ومنع الأجيال الطالعة من معرفة اللغات الأجنبية . يتلقنون مناهج التكنولوجيا المتطورة والمعقدة ، ومعها الذكاء الاصطناعى ، وفوقهما الهندسة الوراثية ... باللغة العربية !

ببساطة مطلوب ، وفق هذه الرغبة الغبية ، تخريج أجيال جاهلة ومتخلفة ، لا أمل لها فى التطور والمشاركة فى إبداعات العصر ، ولا مكان لها تحت الشمس .

هكذا ، ومتى ساد الجهل ، تتحقق عروبة لبنان ، ويطمئن خاطرها ويصلها حقها ؟

يخرب بيتكم الله .

مصرون على تشويه العروبة وتصويرها أنها لا يصلها حقها ولاتكتمل إلا بالجهل والتجهيل .

ماذا يضير العروبة إذا كان الشاب اللبنانى متمكناً من ثلاث أو أربع أو خمس لغات أجنبية ؟

وأين الغضاضة والخطر على عروبة لبنان ، إذا كان الشاب اللبنانى يتقن الفرنسية والإنكليزية والألمانية واليابانية والصينية وغيرها ؟

عندما أسس الخليفة المأمون « بيت الحكمة» للبحوث العلمية ، أوصى الكندى أن يستعين بعلماء من جهات الأرض الأربع ، وحرّصه أن يتعلم العلماء العرب لغة هؤلاء العلماء ، ليظلوا مواكبين حضارات الشعوب .

بمثل هذه الحكمة تكون اللهفة على العروبة ولغتها .

... اللغة العربية بألف خير من لبنان . فنحن أهلها وأهلّ العروبة .

« زيّان »

الملحق الأول (ب)

مع زيّان نكرّر المقولة « تعلموا من المأمون »

الأستاذ زيان فى نهاريات « النهار » العدد ١٨٧٥٥ (الأربعاء ٩ شباط ١٩٩٤) يربط قضية تعليم العلوم بالعربية - لا بلغة أجنبية - فى المراحل الابتدائية والمتوسطة (حتى الثانوية) - بقصة « كلما دق الكوز بالجرّة » و «عروبة لبنان » .

الواقع أن « عروبة لبنان » و « فضل لبنان على العربية ونهضتها الحديثة » و « موقع لبنان المميّز فى العالم العربى» أمور فى حكم المسلّمات . والإشارة إليها فى سياق تعليم العلوم فى المرحلة الابتدائية باللغة الأجنبية وما أثير حوله ، هى إخراج الموضوع من حيز النقاش والبحث العلمى والتربوى إلى حديث وسياسة هما حديث وسياسة « دق الكوز بالجرة » .

فالقضية فى الواقع تربوية علمية نفسية صرف ، ولايجوز تسييسها . فليس من مُرَبٍّ مخلص مهما كانت جنسيته أو لغته ، لو سألناه :

أيهما أفضل للولد ، تدريسُه العلومَ بلغته القومية أو بلغة أجنبية ؟ إلا ويجيب مؤيدا الخيار الأول . فعلماء التربية فى كل زمان ومكان نادوا بالقول، وأثبتوا بالاختبار ، أن الطالب (الناشئ خاصة) يستوعب المفاهيم العلمية والرياضية وسواها عموماً بلغته القومية أكثر بكثير وأيسر بكثير وأعمق بكثير مما يستوعبه منها بلغة أجنبية . ولا أظن الأستاذ زيّان من غير هذا الرأى .

وهكذا ، لن تجد فى أنحاء العالم قاطبة بلدا يُدَرِّسُ مواد العلوم والرياضيات بغير لغته القومية إلا فى عالمنا العربى المسكين المهدَّد فى كل شىء . بل إنى لاأعرف بلداً تُدَرسُ فيه

مواد العلوم والرياضيات ، حتى فى معاهده العليا بغير اللغة القومية ، إلا معظم بلادنا العربية فى جامعاتها السبعين .

فُرِض تعليم العلوم والرياضيات ، وأحياناً الاجتماعيات باللُغة الأجنبيَّة قهرا على الشعوب العربية أيام الاحتلال والاستعمار والانتداب فى شتى أرجاء الوطن العربى من مشرقه إلى مغربه . وللأسف زال الاستعمار والانتداب والاحتلال واستمر الوضع فى كثير من المعاهد الابتدائية والمتوسطة وفى معظم معاهد التعليم العالى على ذلك ، ربما بقوة الاستمرار أو لأسباب تخفى علينا جميعاً . فما أن تنتعش حركات تعريب التعليم فى هذه المجالات وتكاد تعمّ فى قُطر حتى نجدها تنتكس ، كما الحال فى تونس والجزائر مغرباً ، وفى مصر والأردن مشرقاً .

خبِرتُ شخصياً دراسة العلوم والرياضيات وتدريسها باللغتين العربية ثم اللغة الإنكليزية ، وأذكر خلال تدريسى هذه المواد باللغة الأجنبية حينما كان يصعُب على طلابى استيعاب المفهوم الفيزيائى أوالكيميائى أو الأحيائى باللغة الأجنبية أننى أجدهم سرعان ما يتجاوزون هذه الصعوبة حين أعيد لهم شرح المفهوم باللغة العربية .

فى ترحالى وتجوالى بين البلاد العربية شاهدت كتباً فى العلوم والرياضيات لكثير من الفتيان ممن يدرسون هذه المواد بلغة أجنبية – الإنكليزية خاصة – فى المرحلتين الابتدائية والمتوسطة (وبعض هؤلاء الفتيان من أبناء أصدقائى أو من ذوى قُربای ، أولاد إخوتى وأخواتى) ، وكنت أقرف جزعاً وأشفق تأسياً لما أرى فى تلك الكتب من اختلاط الكلام العربى المضاف ، بنظام وبغير نظام ، فيكاد يغطى النص الأجنبى .

كلنا باعتبارنا مُرَبِّين نعلم يقيناً أن اللغة القومية - اللغة الأم - هي وسيلة الولد السهلة المأخذ والطبيعية التفاعل إلى العلم والثقافة . وفيها تتكوّن وتَتَنَشّأ وتتنامى حصيلته العلمية وكتلة التعلم لديه . آنياً ومستقبلاً . ومن الظلم . وأكاد أقول الإجرام . إثقال كاهله وإرهاق فكره وإرباك ذاكرته بتضارب المفاهيم والمصطلحات باللغة الغريبة .

وتطبيقاً لهذا المبدأ التربوى الوثيق نجد أن مدارس الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية (وبقرار من المحكمة العليا فيها) تُدَرِّسُ أبناءَ الجاليات من الأقلّيات بلغتهم الأصليّة في المرحلة الابتدائية دون أن يُستثنى منها موادُّ العلوم والرّياضيات (وهو مدار القضيّة التي تُعالجها هنا) - علماً أن اللغة المستقبليّة الرسميّة والعامة لأبناء هذه الجاليات جميعاً هي حتماً الإنكليزية . بمعنى أن القضية ليست جدليّة بل هي قضيّة حَقّ أساسي للولد كإنسان. والمهم أن تعالج القضيّة من هذا المُنطلق !

إنه لمن الأمور المضلّلة ربط قضية تعلّم اللغات الأجنبيّة بقضية تعليم العلوم والرياضيات بها . فنحن مع تعليم اللغات الأجنبيّة وإتقان واحدة منها على الأقل بمستوى رفيع يضمن تواصل المتعلّم لاحقاً بالعالم الخارجي علمياً وثقافياً واجتماعيّاً . لكن ذلك لايعني أنّا نُقِرّ بمبدأ تدريس هذه المواد في مراحل التعليم الأولى خاصة . بلغة أجنبية .

إن اللغة الإنكليزية اليوم تجتاح العالم، وهي تحتل المرتبة الأولى بين اللغات التي تدَرَّس كلغة ثانية في شتى بلاد العالم . ولكنّا لاتعرف بلداً واحداً (في غير العالم العربي) أقدم - أو حتى فكر أو عمل - على تدريس مواد العلوم والرياضيات بغير لغته القومية ، من فرنسا إلى الصين واليابان والبرازيل وكوريا وألبانيا وإسرائيل ، ولعلّه في بلاد الماو ماو أيضاً .

إن إتقان اللغة الأجنبية يتم بأساليب معروفة ، من أهمها رفع مستوى من يقومون بتدريسها (وهذه ناحية أتحدى أن تجدها بالمستوى المطلوب فى معظم مدارسنا فى شتى أرجاء الوطن العربى) ، وكذلك بتحسين وسائل تعليمها وزيادة حصص تدريس تلك اللغة وإسماعِها الطلابَ بالنطق الصحيح والسليم .

إن أهمية اللغة الأجنبية للطلاب ولدراساتهم اللاحقة مستقبلاً أمر لاخلافَ فيه ولا عليه ، لكن التركيز الذى يخلطه ويربطه بتعليم العلوم أمر آخر - لعلى أقول فيه « إنه قضية حق يراد بها باطل » .

إن النتائج التى سجلها الدارسون والمراقبون فى البلاد والمؤسسات[1] حيث تحول تعليم العلوم والرياضيات إلى اللغة العربية (من الأجنبية) أظهرت تحسناً ملموساً لا فى مستوى استيعاب مواد العلوم والرياضيات فقط ، بل فى مستوى اللغة الأجنبية أيضاً. لأن ذلك التحول رافقه تحسين فى مستوى تدريس اللغة الأجنبية .

وألِفت الأستاذ زيان ومن يشاركونه الرأى إلى خطر مركّب النقص القاتل الذى ينغرس فى نفسية الطالب الناشئ إذا ما أشرب بقصد أو غير قصد ، أن لغته القومية ناقصة وعاجزة عن أن تكون لغة يستوعب بها هو ورعيله مواد العلوم والرياضيات . إن كرامة الولد وشخصيته القومية حينئذ ناقصتان مهتزتان ذليلتان .

إنى أرى فى تدريس العلوم والرياضيات فى المراحل الابتدائية والمتوسطة اليوم (وفى المراحل الثانوية والعالية مستقبلاً) إذلالاً للغة وللشخصية وللكرامة القومية والوطنية .

وللعبرة فقط أورد الحادثة التالية :

أوائل العشرينيات من هذا القرن افتتحت الجمعية اليهودية الألمانية « معهد التخنكو » - التكنولوجية - فى حيفا ، وأنشأته بأموال وجهود من أعضائها وخبرائها الألمان . وارتأت الجمعية جعل الألمانية لغة التدريس فى المعهد لأن العبرية

---

(١) من هذه المؤسسات مدارس جمعية المقاصد فى بيروت والمدارس القومية فى تونس والجامعة الأردنية .

ليست متطورة إلى القدر الذى يسمح باستعمالها فى مجال تعليم العلوم والتكنولوجية ، فقامت الدنيا هناك بموجات الاحتجاج وإضراب المعلمين والتلاميذ ومساندة الصحافة والرأى العام ، معتبرين ذلك إهانة قومية ، فاضطرت الجمعية إلى التراجع ، فكانت الدروس تترجم من الألمانية لتُلقَى على الطلاب بالعبرية ، وتم للمعتزين بلغتهم الواهنة ما أرادوا . ومنذ أعوام فقط ، عقدت فى هذا المعهد ندوة دولية فى شؤون الذرّة والنوويات ، وكانت العبريةُ لغةَ الندوة الوحيدة .

يا أستاذ زيّان

المأمون أوصى العلماء العرب بتعلم لغة العلماء الأجانب - وهذا ممتاز ، بل هذا بعض ما نستهدفه ،

لكنك نسيت ، أو لعلك تناسيت ، أن المأمون نفسه أمر ونفذ وتابع تعريب الدواوين ومختلف نواحى الشؤون الاجتماعية والعلمية والفلسفية والرياضية والطبية ، ولعلك تذكر أن العالِمَ الذى كان يقدِّم إلى « بيت الحكمة » كتاباً قيماً من تأليفه أو ترجمته كان يتلقى مقدار وزنه ذهباً !

ياسيدى نحن نكرر معك مقولتك ونعتز بها : تعلموا من المأمون !

ولك تحياتى

أبو هانى

الملحق الثانى

تدريس العلوم بالعربية فى الجامعة الامريكية

لسليمان بك أبى عز الدين

إن الاعتماد على لغة البلاد فى تلقين العلوم لكل أمة لها وحدة جنسية ولغة صالحة للتعليم أمر طبيعى وقاعدة عامة . فتلقّينا العلوم بلغة أجنبية فيهِ شذوذ عن هذه القاعدة لا مبرر لهُ بل هو مُضرٌ بنا علميًا ومضعف للغتنا وقوميتنا .

فالعلم أسهل تناولاً على الطالب وأرسخ فى ذهنهِ إذا درسهُ بلغتهِ التى رضعها مع اللبن مما لو درسهُ بلغةٍ أجنبية، وتفوُّق الكثيرين من مخرجى الجامعة فى عهدها الأول عهد التدريس باللغة العربية يؤيد ذلك .

أما العدول عن التدريس بلغتنا فإنهُ يضيق نطاق التأليف بها فيحرمها مؤلفات نفيسة تزداد بوجودها قيمة كما إنهُ يَحُول دون اقتباسها كثيراً من الاصطلاحات العلمية والفنية التى تساعد على نموها . فبالاقتباس نمت جميع اللغات الحية واللغة العربية نالت قسطاً وافراً من ذلك فى أثناء الفتح الإسلامى وامتزاج الأمة العربية بغيرها من الأمم ، وعندما نُقلت إليها علوم اليونان وغيرهم فى عهد العباسيين .

أما الضرر القومى من التعليم بلغة أجنبية فظاهرٌ كل الظهور فى جميع أنحاء سوريا حيث ترى القوم مختلفى المشارب والنزعات وقد تضعضعت أركان قوميتهم الأصلية دون أن يكتسبوا قومية الأمة التى تلقُّوا العلوم بلغتها ، وهذا من أهم أسباب ضعف مجموعنا رغماً عما هو مشهور عن قوّة أفرادنا .

أما المصاعب التى يقال إنها اعترضت فى سبيل التعليم باللغة العربية فى ما مضى فهى :

١ - عدم وجود الكتب العربية اللازمة للتدريس .

٢ - عدم وجود مطولات ومجلات علمية تمكن طلاب العلم من التوسع فيها وتتّبع سير العلوم فى تقدمها المتواصل .

٣ - افتقار اللغة العربية للاصطلاحات العلمية الحديثة .

٤ - عدم وجود أساتذة أكفياء يقومون بتدريس العلوم باللغة العربية .

وقد قيل أخيراً بوجود عقبة خامسة وهو أن التدريس باللغة العربية يحرم كثيرين من الطلبة الأروام والأرمن تلقى العلوم فى الجامعة .

فهذه الاعتراضات مردود عليها ردًا إجماليًا بتمكّن الأتراك من تدريس العلوم بلغتهم ، واللغة العربية ، كما لا يخفى ، أغزر مادة من اللغة التركية وأرقى منها بدرجات وليس أهل العلم بينهم بأكثر عدداً وأرسخ قدماً فى العلوم من الناطقين باللغة العربية .

وفى ما يلى ردٌ تفصيلى على كل اعتراض على حدة :

١ - إن وجود كتب التدريس فى العربية يتوقف على وجود التدريس بهذه اللغة ؛ لأنها إذا وجدت ولم تستعمل للتدريس لا تصلح لأىّ غرض آخر فيذهب ما ينفق عليها من الوقت والمال سُدًى فقرّروا التدريس باللغة العربية تنشأ الكتب اللازمة لها . فالمقدرة على التأليف موجودة ورواج الكتب مكفول لأن نطاق المعارف فى بلادنا آخذ فى الاتساع ومدارس دمشق والعراق لغتها العربية كما أن الحكومة المصرية قد شرعت فى تحول التدريس إلى اللغة العربية .

٢ - أمـا قلة عـدد المطولات والمجـلات العلمية فناشئٌ عن حصر التعليم بلغات أجنبية وهذا يجعل أهل العلم أكثر طلباً للتبحر فى العلوم فى كتب اللغة التى تلقوا دروسهم بها ، على أنهُ رغماً عن هذا قد أدَّت النهضة العلمية الحـديثـة إلى تأليف بعض المُطولات وإنشـاء مجلات علمية وفنية باللغة العربية كالمقتطف والمجلة الطبية المصرية والمجلة التجارية ومجلة المضـمـار التى تبحث فى مواضيع الرياضة الجسدية .

٣ - إذ صح الزعم أن اللغة العربية مفتقرة إلى الاصطلاحات العلمـيـة الحـديثـة فـهـى تستـوى فى ذلك بغيرها من اللغات ، فسائر اللغات الحديثة اقتبست ما افتقرت إليهِ من اللغات الـقـديمة كـاليـونانيَّة واللاتيـنيـة . واللغة العربية فى كل عصر كانت تقتبس من غيرها . كما أن غيرها اقتبس منها . فإليها نُقلت قبلاً علوم الأقدمين وفنونهم وفلسفتهم . ومنها نُقلت إلى اللغات الأوروبيـة وبهـا كان التدريس فى جميع الأقطار العربية حينما كانت بضاعة العلم رائجة فى العراق وسوريا ومصر والأندلس ، وبقـيت كـذلك حـتى أواخـر القـرن الماضى فى مصر وسوريا ، وأهم أسباب العدول عن التدريس بها فى القطر المصرى سـياسـية لا فنيـة . وها الحكومة المصـرية تنوى الرجوع إلى التدريس بهـا ودمشق والعراق معـتمدتان عليـهـا . فكل مـا تقدم يسقط حجة القـائلين بعـدم صلاحـيـتـهـا للتـعليم لافتـقـارها إلى الاصطلاحات العلمية .

٤ - إن وجود عدد غير يسير من الأساتذة الوطنيين فى الجامعة الأمريكية وفى المكتب الطبى الإفـرنسى فى بيـروت وفى مـدارس الحكومـة فى دمـشق وبغـداد مما يدحض قـول القائلين بعدم كفاية أساتذتنا لتدريس العلوم . والكفـاية تتـوقف على الاستـعـداد الفِطرى والاقـتـبـاس بالدرس والممـارسـة ، ولا أظن أن أحـــداً ينـكر علـى السـوريين حـســن اسـتـعـدادهم الفطرى لاسـيـمـا وأمـر الدرس والممـارسـة مـيـسـرٌ لمن شـاءَ ومـدارس أوروبا

وأميركا مفتوحة أبوابها لمن طلب التوسع والتخصص . والخطة الحكيمة التى اتخذتها الجامعة الأميركية بإيفاد أساتذتها إلى جامعات الولايات المتحدة مما يساعد على استيفاء شروط الكفاية . ونحن نسلم إنهُ لو كان المطلوب تحويل التعليم من الإنكليزية إلى العربية دفعة واحدة لشعرنا بالافتقار إلى أكفياء لتدريس بعض العلوم . أما وغرضنا التحويل التدريجى والشروع فيهِ من الصفوف الابتدائية والتدرج منها إلى الأعلى فالأعلى سنة فسنة ، فيتسع الوقت لاستعداد الأساتذة الأميركيين والشرقيين لتلقين العلوم التى يدرِّسونها بلغة هذه البلاد .

٥ – شاءت الأمة الأميركية السخية نشر العلم والمبادئ الحرة فى هذه البلاد فأنشأت هذه الجامعة للنفع المجرد . فالتشبث بعمل يضر السوريين مراعاةً لغيرهم لا يتفق مع الغاية التى أنُشئت من أجلها لاسيما وأن بعض الطلبة الأروام والأرمن يفدون إلى هذه الجامعة من بلاد عربية كمصر وحلب وغيرهما ، فهؤلاء يعتبرون كأبناء الأقطار العربية ، أما غير هؤلاء من الأروام والأرمن فسواءٌ عليهم كانوا فى سوريا أو فى سواها لأنهم حيثما ذهبوا إلى خارج وطنهم سيكونون غرباء فيمكنهم والحالة هذه أن يطلبوا العلم فى غير المدارس السورية أو أن يختاروا درس لغة البلاد وتلقى العلوم بها فينزلوا منا منزلة الإخوان ويحلوا بيننا على الرحب والسعة .

ولايخفى إنهُ إذا كان التعليم باللغة العربية سيحرم عدداً يسيراً من الأروام والأرمن دخول هذه الجامعة ، فإن بقاءَ التعليم باللغة الإنكليزية سيحرم عدداً أكبر منهُ من أبناء الأقطار العربية المختلفة طلبَ العلم فيها ، ويترك فى نفوسهم ونفوس مواطنيهم أسوأ تأثير .

فإلى عمدة الجامعة الموقرة نبسط الرجاء بأن ترمق هذا الاقتراح بعين الرضا وتنتخب لجنة خاصة لوضع خطة لتنفيذهِ واتخاذ التدابير اللازمة التى تكفل تذليل كل عقبة تعترض فى سبيله .

مجلة الكلية جـ ٨ ، عام ١٩٢٣

الملحق الثالث

PREFACE

When the Arabian Empire Extended from India in the East to the Atlantic in the West , the Caliphs of Baghdad , their capital , ruled supreme . Their grandeur , however , was lacking in what older , achieved . So Egyptian , Greek, Roman , and Persian knowledge was made accessible to the Arabs. Works of past philosophers, astronomers, biologists , physicians, etc. A new nomenclature has to be created, and terms from all languages were adapted and arabicized; which were more than necessary for that age, and during the thousand years to follow; but when modern science arose the Arabic language lagged far behind other European tongues .

In the last ten years as, the national spirit has revived , the U.A.R. is making an active and progressive encouragement for either publishing most of the academic text- books or translating many classical ones, all in Arabic, in order to match with the great advances acheived. Much more is expected in the years to come .

Shortly after the appearance of my seven text- books of Anatomy and Physiology in Arabic, I was begged by several of my colleagues to compile a vocabulary of Anatomical terms which I did with great pleasure .

Again after the text-book of Embryology in English and its successor the text-book of Embryology, in Arabic has appeared, the same necessity called for a glossary for the Embryological terms which I am happily offering it to all my colleagues and beloved students as a present and a token for their kind appreciation and their good feelings, which they granted the author .

Prof . Dr . **M.D,**

Prof . of Anatomy , Medical Faculty ,